

سورة الاعراف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

الاعراف

معاني الكلمات :

" فَرِيقًا " منكم " هُدَى " الله، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبأها، وصرف عنهم موانعها.

" وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ " أي: وجبت عليهم الضلالة، بما تسببوا لأنفسهم، وعملوا بأسباب الغواية.

" إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله، فقد خسر خسرانا مبينا.

فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصب الوافر، من الخذلان، ووكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران.

" وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ " لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقا، والحق باطلا.

المعنى الإجمالي

قوله {فَرِيقًا هَدَىٰ، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته فهو المبديء والمعيد والهادي والمصل، له الملك المطلق والحكم الأوحده، فكيف يعدل به أصنام وأوثان هدى فريقاً من عباده فاهتدوا، وأضل آخرين فضلوا

ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية وموالاتهم لأهل الغواية، {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله} فضلوا ضلالاً بعيداً {ويحسبون} لتوغلهم في الظلام والضلال {أنهم مهتدون} .

ان الكافر المخطئ والمعاند سواء من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذي ظن انه في دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله في حكم الجاحد والمعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى في صحة الدين بل لا بد فيه من الجزم واليقين لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك فعلى العاقل تحصيل اليقين وترك التقليد والاقتداء باصحاب التحقيق والتوحيد فان المرء لا يعرف حاله ومقامه الا بالتعريف.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ.

وَبَيَّنَّ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُرْمِيَّةِ، أَنَّ الْكُفَّارَ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمِنْ تِلْكَ الْمُوَالَاةِ طَاعَتُهُمْ لَهُمْ فِيمَا يَخَالِفُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَعَ ذَلِكَ يَطَّنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى هُدَى.

وَبَيَّنَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ أَخْسَرُ النَّاسِ عَمَلًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا [18 \ 103، 104] .**

وهذه النصوص القرآنية تدل على أن الكافر لا ينفعه ظنه أنه على هدى؛ لأن الأدلة التي جاءت بها الرسل لم تشرك في الحق لبساً ولا شبهة، ولكن الكافر لشدته تعصبه للكفر لا يكاد يفكر في الأدلة التي هي كالشمس في رابعة النهار لجأ في الباطل، وعناداً فلذلك كان غير معذور. والعلم عند الله تعالى.

فَأَكْتَسَبَ الْكُفَّارَ لَوْلَايَةِ الشَّيَاطِينِ بِاسْتِعْدَادِهِمْ لِقَبُولِ وَسْوَاسَتِهِمْ وَإِعْوَانِهِمْ، وَعَدَمِ اخْتِرَاسِهِمْ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْبَاطِلَةِ أَوْ الشَّرِيرَةِ مِنْ لَمَتِهِمْ، كَأَكْتِسَابِ ضَعْفَاءِ الْبَنِيَةِ لِلْأَمْرَاضِ.....

بِاسْتِعْدَادِهِمْ لَهَا، وَعَدَمِ اخْتِرَاسِهِمْ مِنْ أَسْبَابِهَا، كَالْقَدَارَةِ وَتَنَاوُلِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ الْفَاسِدَةِ أَوْ الْقَابِلَةِ لِلْفَسَادِ بِمَا فِيهَا مِنْ جَرَائِمِ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ - كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ آتِيًا - فَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ هُمْ أَصْحَابُ الْمُسَاوِسِ وَالْأَوْهَامِ وَالْخَرَافَاتِ وَالطُّغْيَانِ، وَالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَالْمُتَوَلُّونَ لِقَرْنَائِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّاعُوتِ وَالذَّلْجِ وَالنَّفَاقِ.

ولم يوجب ربحهم الضلالة عليهم ظلماً لهم؛ وكيف لا يستحقونها وقد وصفهم الله تعالى بقوله {إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ} يوالونهم ويعدونهم {مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ} فحق عليهم غضب ربهم، ووجب انتقامه منهم؛ بتركهم في ضلالهم يعمهون

ولقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث عدة أن الناس يولدون على الفطرة، والفطرة التي فطر الله الناس عليها مستقيمة دائماً لا تخرج عن سنن الحق بمقتضى العهد الفطري الذي أخذه على بني آدم من ظهورهم وذريبتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا، وإن الشياطين هي التي تحوهم عن الفطرة إلى الضلالة، ولقد قال - صلى الله عليه وسلم -:
 دركل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه) وإن من يسلك طريق السعادة يتجنب الاستجابة للشيطان، ويستيقظ لفتنه، فلا يمكنها من أن تسيطر عليه، وتستمكن من منازعه، وحتى مكن للشيطان من أن يصل إلى توجيه فكره، ونفسه، وإرادته، فقد اتخذ من دون الله ولياً، وقد روي في الصحيحين " من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة "

فَرِيْقًا هَدَى وَفَرِيْقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ
اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (55)



فوائدها من السورة

الإعراف الآية 30

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

9- الهداية نوعان:

النوع الأول: هداية التوفيق والإلهام والتسديد: وهذه مختصة بالله تعالى، لا يملكها أحد من المخلوقين، وقد خص بها سبحانه وتعالى عباده المؤمنين؛ بأن هدايتهم للإسلام، ووقفهم على طاعته.

وهذه الهداية هي المذكورة في قوله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) القصص: 56.

النوع الثاني من الهداية: فهي هداية الدلالة، والدعوة، والإرشاد.

وهذه الهداية لله تعالى ولغيره من المرسلين والأنبياء والصالحين، ليرشدوا جميع البشر.

وهذه الهداية هي المذكورة في قوله تعالى: (وهديناه النجدين) البلد: 10؛ أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر.

10- جعل الله عباده فريقين: فريقاً وفقههم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقاً وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً منهم وظناً بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

11- قوله (اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي أنهم فتحوا قلوبهم وسخروا عقولهم وإراداتهم للشيطان، فكان لهم ولياً من دون الله؛ لأنهم هجروا فطرتهم، وهجروا أوامر الله تعالى ونواهيه، ومعنى (من دون الله) أي من غير إطاعة الله.

12- شر أنواع الضلال، بأن يسير المرء في طريق الباطل، وهو بحسب أنه الحق والهداية. فحسبوا الباطل حقاً، والضلالة هداية.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد:

1- أن الهداية، بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذ تولى - بجهله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال .
2- من حسب أنه مهتد، وهو ضال، فإنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى .

3- قال ابن القيم: الهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة. ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرّسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق [فتح الباري] 1/ 211.]

4- قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: والعبد مضطرّ دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطرّ إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بجمه الهداية، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله. [الفتاوى] 14/ 37.]

5- قال ابن القيم - رحمه الله -: الهداية تجرّ الهداية، والضلال يجرّ الضلال، فأعمال البرّ تثمر الهدى، وكلّما ازدادت منها ازداد الهدى، وأعمال الفجور بالضدّ، وذلك أنّ الله سبحانه يحبّ أعمال البرّ فيجازي عليها بالهدى والفلاح، ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء. [تنوير الحوالك] 1 / 338]

6- أكمل الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان موقياً كلّ واحد منهما أي الإسلام والإحسان حقّه.

7- الضلالة العدول عن الطريق المستقيم عمداً أو سهواً، كثيراً أو قليلاً .

8- أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين، بل لا بد فيه من الجزم والقطع واليقين، لأنه تعالى عاب الكفار بأنهم يحسبون كونهم مهتدين. ولولا أن هذا الحسبان مذموم، لما ذمهم بذلك